التكرار وأثره في القصص القرآني

قصة موسى (عليه السلام)

أنموذجاً

(جمع ودراسة)

د. خليل عبد المعطي عثمان

جامعة البصرة/كلية الآداب- قسم اللغة العربية

إن القرآن الكريم جاء بكلام ليس ككلام البشر. ذلك لأنه معجز في نظمه وتركيبه، وصياغته ، فقد اعجز العرب الذين كانوا لا يبارون في الفصاحة والبلاغة ولا يجارون في نظم الكلام وعذوبة معناه إلا أنهم فوجئوا بهذا الكلام وهذا النظم والتركيب فوقفوا أمامه حائرين فلن يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولا حتى بآية واحدة منه.

وان التعبير القرآني تفرد بأساليب خاصة لم يكن العرب قد عرفوها منها القصة القرآنية وتكرارها وهذا الأسلوب لم يكن حاصلاً من ناحية اللفظ والمعنى فقط وإنما يرجع ذلك إلى منهج القرآن الفريد ونظمه الوحيد الذي لو حاول احد تقليده لبدأ كلامه متناقضا وعن الصواب حائدا ولهذا كان للفظ القرآن وتراكيبه وقصصه موضع دراسة علمية دقيقة في مختلف العلوم. وكان ذلك ميدانا جال فيه العلماء في مباحثهم اللغوية والنحوية والدلالية والتركيبية وغيرها التي قامت بتقديم أروع ما أبدعته مجالات البحث في علم اللغة العربية خدمت للقران الكريم والحديث النبوي الشريف.

والقصة القرآنية الواحدة قد يكون فيها أكثر من موطن عبرة وأكثر من جانب استشهاد. فلا غرو إذن أن تذكر في المناسبة التي يراد الاستشهاد لها أو الموطن الذي يراد الاتعاظ به، و أن يبرز منها ما يراد الاعتبار أو الاستشهاد به، وهذا شأن القصص القرآني عندما نرى أن القصة في القرآن الكريم كأنها تتكرر في أكثر من موطن أو موضع والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يفرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد [١].

وان قصة موسى عليه السلام التي هي مدار بحثنا مثلا. فيها مواطن عبرة كثيرة ومواطن استشهاد متعددة ومشاهد مصورة بحيث تتراءى للسامع والقارئ كأنها أحداث واحدة متكررة.

وتتشعب قصة موسى عليه السلام ويتفرع منها الكثير من القصص وكل قصة لها هدف تبرز في أثناء القصة[٢] وجاء ذكر قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم كثيرا جدا وبذلك احتلت حيزا واسعا بين قصص القرآن فقد تردد ذكرها فيما يقارب الثلاثين موضعا في القرآن وذلك في سورة البقرة، والمائدة، والأعراف، ويونس، وهود، وإبراهيم، والإسراء، والكهف، وطه، والمؤمنون، والشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والسجدة، والصافات، وغافر، وفصلت، والزخرف، والدخان، والذاريات، والمرسلات، والنازعات وغيرها من سور القرآن الكريم.

ويكشف لنا هذا السر الهائل من أسرار التكرار لهذه القصة في القرآن الكريم من بين القصص الأخرى ما جاء في كتاب التعبير القرآني في تكرار قصة موسى عليه السلام هو أن قدر الله ماضٍ لا محالة وانه لا يستطيع احد أن يغيره أو يرجئه مهما حاول واتخذ من أسباب ووسائل ويتجلى ذلك في قتل فرعون أبناء بني إسرائيل حذرا من ظهور الشخص الذي يزيل ملكه منهم إلا أنه ربى في حجره الشخص الذي كان مقدرا له أن يزيل ملكه.

ومنها بيان عاقبة الظلم والظالمين، ويتجلى ذلك في نهاية فرعون النهاية الوخيمة الوبيلة. ومنها بيان لنفسية الشعوب المستضعفة المستذلة ولتكونها والسبل التي ينبغي أن تسلكها لتتحرر. ويتجلى ذلك في ذكر نفسية وتكوين بني إسرائيل الذين تربوا على الذلة والخنوع... ومحاربة موسى عليه السلام وإعدادهم إعداداً آخر يرفعهم من هذا الوحل الذي يتمرغلون فيه فلم يستجيبوا له حتى قضى الله عليهم بالتيه أربعين سنة اهلك فيها جيلا واخرج جيلاً آخر. وفيها بيان أن الحق له السلطان الأعظم على النفوس إذا عرفته وآمنت به وانه ليس بوسع احد أن يحول بينها وبينه مهما اتخذ من وسائل إغراء أو تهديد ويبدو ذلك في إيمان السحرة بموسى عليه السلام وفي دخول الحق بين فرعون وإيمان امرأة فرعون [٣].

ومن الجدير بالذكر أن قصة موسى عليه السلام تنقسم على جزأين رئيسين الأول يتحدث عن موسى عليه السلام مع فرعون منذ إلقائه في اليم إلى غرق فرعون والثاني عن موسى مع قومه. وهذا واضح من خلال القصة وتكرارها في سور القرآن الكريم.

والملاحظ في تكرار القصة أن لفظ (فرعون) يتكرر كثيرا بتكرار قصة موسى عليه السلام وهنا نسال سؤالاً هل أن اسم فرعون الذي تكرر في قصة موسى عليه السلام هو نفسه أم يختلف؟

الجواب لابد أن نفرق بين اللفظ والاسم فلفظ (فرعون) هو لقب كان يلقب به ملوك مصر، كما أن (الأكاسرة) لقب لملوك الروم... [٤].

وأما اسم (فرعون) الذي عاصر موسى عليه السلام منذ النشأة حتى الوفاة. فهو قد وقع فيه خلاف بين علماء التاريخ والتفسير وكذلك أهل اللغة على ثلاثة أقوال:

- **القول الأول** / قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): إن اسم فرعون الذي عاصر موسى عليه السلام هو (قابوس) وقيل اسمه الوليد بن مصعب الريان [٥] وهو الذي ولد موسى عليه السلام في عهده وزمانه، ثم رباه وبعد ذلك حاربه وهذا الرأي عليه أكثر أهل التفسير [٦].

- **القول الثاني**/ أما الرأي الثاني فهو ما ذكره ابن الأثير (ت ٦١٧هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ) وهو أن فرعون الذي ربى موسى عليه السلام هو (قابوس بن مصعب) وهو غير فرعون الذي حصل خروج بني إسرائيل في عهده وذلك لأن الله عز وجل عندما نادى موسى أعلمه أن (قابوس) فرعون (مصر) قد مات وقام أخوه (الوليد بن مصعب) مكانه وكان أعتا وأقوى من (قابوس) وأفجر وأمر موسى عليه السلام بان يأتيه هو وهارون بالرسالة والتبليغ[٧].
- **القول الثالث**/ هو ما ذكره الأستاذ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء) فحواه أن فرعون في زمن الاضطهاد غير فرعون في زمن الخروج ، ففرعون الاضطهاد كان اسمه (رعمسيس الثاني) وفرعون الخروج هو (منفتاح) ابن (رعمسيس الثاني) الذي اشترك ابنه معه في الحكم قبل موته[٨].

أولاً / التكرار: تعريفه ـ أهميته ـ فوائده

١. تعريف التكرار

التكرار لغةً: مأخوذ من الكرّ. وهو الرجوع، يقال كرّه، وكرّ بنفسه يتعدى ولا يتعدى ، وكررت الشيء تكريراً وتكراراً[٩].

أما في الاصطلاح: فهو عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى[١٠] وأكثر ما يتحقق فيه ذلك المفهوم إن ذُكِرَ الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة[١١].

وهذا المفهوم بعيد كل البعد عن التكرار الواقع في القرآن الكريم. وذلك أن التكرار ظاهرة استعملها التعبير القرآني لإظهار جمالية ألفاظه وتناسق عبارته بإعادة أجزاء من القصة الواحدة مثلا في أكثر من موقع في القرآن الكريم بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير. وغير ذلك من الأساليب التعبيرية المختلفة فأفاد ذلك ظهور الإعجاز في إخراج الأمر الواحد في صورة متباينة مخالفا في ذلك كلام المخلوقين. وفي هذا يقول ابن عطية إن ترتيب اللفظ من القرآن علم الله بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان... وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد [١٢].

فالتكرار في القرآن الكريم إذاً هو أسلوب القرآن المركب تركيبا دقيقا بالغ الدقة بحيث تقرب منه التركيبات العلمية والعملية التي توزن على مقادير موزونة دقيقة ولا تؤتى النتيجة المؤملة منها إلا إذا اختلفت هذه التراكيب في جزء منها. وبذلك قال الكرماني في كتابه (أسرار التكرار في القرآن) بعد أن ساق الكلام عن التكرار: إن القرآن الكريم أتى بطريقة منفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق كل طريقة، وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام [١٣].

وبذلك تفرد القرآن في أسرار تراكيبه وحسن نظمه ودقة ألفاظه وعذوبة معانيه... بطريقة بيانية غير طرق العرب ببيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام- ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه. ومن أمر التكرار في القرآن وما يتراءى خلاله من أسرار في الزيادة أو النقصان في النقط أو في القصة الواحدة مثلاً: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾[١٤] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾[١٥] جاء في كتاب (أسرار التكرار في القرآن) في صدر هاتين الآيتين أن: أكثر ما يستعمل وزن (أفعل) في لغة العرب مع الفعل الماضي، كقولهم أعلم من دب ودرج، وأحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر. فلما استعمل مع الفعل المضارع في سورة الأنعام ولم يستعمله مع الماضي كما في سورة القلم. وكما هو الغالب في لغة العرب؟ ولماذا زيدت الباء في آية القلم، وحذفت في آية الأنعام؟

أما استعمال (أفعل) مع المضارع في الأنعام. فلأن سياق الكلام دائر حول المستقبل لبيان أصل عام، وماضٍ إلى الأبد، في شأن الرأي العام أو رأي الجماهير فيما يتصل بالعقيدة وشؤون الدين بوجه خاص- فالآية السابقة على آية الأنعام هي قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ بخلاف ما في سورة القلم، فان الكلام فيها عن قوم ضلوا بالفعل وهم الكافرون من قريش في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ يعني ضل عن سبيله فقالوا- عن رسول الله: أنه مجنون وعن القرآن أنه سحر مبين.... فلما جاء (أفعل) مع المضارع في سورة الأنعام انقطعت مضلة الضلال وأصبح يقيناً؛ كما يكون جائزاً في المعنى إذا استعمل مع الماضي، فصار معنى الآية في الأنعام: أن الله أعلم بمن يضلون عن طريقه في

المستقبل. فصار ورود أفعل اتباعاً للسياق، وقطعاً لمعنى الإضافة المؤكد في استعمالها مع الماضي كما هو الغالب في لغة العرب– فلما استعمله مع الماضي في سورة القلم استعمله مع (الباء)، إذ لو لم تذكر الباء لصار المعنى أنه عز وجل أعلم الضالين عن سبيله وتعالى الله علواً كبيراً... [١٦].

٢. أهمية التكرار في القرآن

إن للقران الكريم سمة في تكرار بعض ألفاظه وتراكيبه وقصصه يخرج عن المألوف الذي اعتاد عليه الناس وهذا الخروج يؤدي إلى كسر أفق الانتظار، الهدف منه عدم الملل من قراءته لأن الكلام إذا جاء على نمط ونسق... واحد فإنه يملل قارئه ولهذا جاء القرآن على هذه السمة والأهمية الإبداعية يقول سيد قطب في تكرار القصص في القرآن وأهميته يحسب أناس أن هناك تكراراً في القصص القرآني. لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه [١٧] يساهم في كمال الموضوع وبذلك يكون التكرار في أهميته دليل على قيمة أداء القصة في التعبير القرآني البياني[١٨].

وبهذا يكون التكرار قد حقق للغتنا العربية لغة القرآن الكريم على مستوى اللفظة والتركيب القرآني جانباً مهماً في تطور المعنى وتغيير الدلالة في تلك التغييرات اللفظية والتراكيب بما يخدم اللغة ويثريها في مسايرة الحياة واستيعاب الأفكار الجديدة ولقد ذكر صاحب كتاب (معالم الدعوة) أهمية التكرار في التعبير القرآني ولخص ذلك بثلاث نقاط[١٩]:

أ. لم يحصل التكرار لقصة في سورة واحدة. إنما حصل في سور متعددة في القرآن الكريم، حسب الأهداف المطلوب تحقيقها في السور التي تتكرر فيها بعض مقاطع القصة وليس من أهداف القرآن مجرد السرد التاريخي كما هي سنة أرباب التاريخ حتى يسرد القصة برمتها في مكان واحد عند ذكر الشخصية إذ وجود القصص في القرآن الكريم ما هو إلا وسيلة من الوسائل التي استخدمها القرآن لتحقيق الأهداف التي أُنزل القرآن من اجلها– كذلك يذكر منها في موضع ما يتناسب مع الهدف الذي يريد تحقيقه.

ب. ليس هناك قصة قد ذكرت مكررة تكراراً أشبه بالتأكيد اللفظي، بمعنى انه لا توجد قصة قد سيقت بحذافيرها في مكانين من القرآن الكريم، وإنما يوجد من القصة في كل موضع ما يتناسب مع ذلك المقام وان تكررت بعض المقاطع من القصة. فبأسلوب آخر.

جـ. قد يكون مصدر الشبهة أن القصة حينما يتكرر اسم صاحبها في أكثر من موضع عند وجود المقتضى لذكر مقطع من مقاطعها، بما يتوهم أن القصة كررت وليس الأمر كذلك، فالشخصية وان تكرر ذكرها في مواضع متعددة إلا أنها لا ترد لذاتها، وإنما تذكر ليربط بها نماذج معينة من قصصها، لأهداف معينة أيضاً وهذا لا يلزم منه أن يكون ما ذكر معها هو عين المقطع المذكور في موضع آخر، فالقصة إنما تكرر في كثير من الأحوال، في تكرار الشخصية صاحبة القصة لا في الحادثة بعينها.

٣. فوائد التكرار

وقد تتكرر القصة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد، في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع، لأنها لما كانت منزلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في البعض الآخر حتى لا تمل للفظها ولا لمعانيها، ثم إن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق وليس نقلاً لألفاظ المحكي عنهم بأعيانها، فان بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم. ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن الكريم في فصاحتها وبلاغتها. هذا وان اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن– وفي القرآن عموما عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لكي تفيد من قصها فائدة لفظية أو معنوية(٢٠).

وبذلك يكون التعبير القرآني تعبيراً فنياً مقصوداً. كل لفظة بل كل حرف فيه وضع موضعاً فنياً دقيقاً. ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعيَ في هذا الوضع التعبير القرآني كله. ولذا نراه– مثلاً– لا يذكر القصة على صورة واحدة بل نراه يذكر في مواطن ما يطوي ذكره في موطن آخر ، ويفصل في موطن ما يوجزه في موطن آخر، ويقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر، بل نراه أحياناً يغير في التعبيرات ونظم

الكلام تعبيراً لا يخل بالمعنى. كل ذلك يفعله بحسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام [٢١].

ومن هذه المعاني يتضح لنا أن لظاهرة التكرار في القرآن فوائد كثيرة ذكرها الله عز وجل لغرض التشويق وشد انتباه السامعين إضافة إلى جمالية الآيات والقصص القرآنية ومن هذه الفوائد:

أ. أن تكرار القصة في القرآن في عدة سور بأساليب تعبيرية مختلفة إنما يهدف إلى تمكين سنة الله في الأرض وترسيخها في النفوس[٢٢] وتقرير الحقائق. لأن الكلام إذا تكرر تقرر[٢٣].

ب. انفراد القرآن عن الكتب المتقدمة السماوية السابقة بتجزئة القصص وتكرارها بحيث لو اجتمعت تلك القصص في موضع واحد لأسهبت ما وجد الأمر عليه في الكتب السابقة من انفراد كل قصة منها بموضع كما وقع في القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام خاصة. فكانت هذه خاصية تفرد بها القرآن عن سائر الكتب السماوية[٢٤].

جـ. ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد وقد كان المشركون في عصر النبوة يعجبون من اتساع الأمر بتكرار هذه القصص مع تغاير وجوه التأليف[٢٥].

د.أن التكرار ألبس قصة موسى عليه السلام بشكل خاص والقصص الأخرى بشكل عام زيادة ونقصاناً وتقديماً وتأخيراً. ليخرج بذلك الكلام في كتاب الله عز وجل من أن يكون ألفاظه واحدة بأعيانها. فيكون شيئاً معاداً. فنزهه عن ذلك بهذه التغييرات[٢٦].

ثانياً / وقوع التكرار في القصص القرآني والشبه التي أثيرت حوله

إن القرآن الكريم الذي لا تفنى ذخائره، ولا يَخلق على كثرة الرد، ولا يزداد على التكرار إلا حلاوة وطلاوة وتلك خصيصة من خصائص القرآن. ومن كان في شك من هذا فليستفت الذوق والوجدان والقلب والآذان، وليوازن في هذا بين كلام الله وكلام الإنسان، فحينئذٍ سيتذوق، ومن ذاق عرف، ومن عرف اعترف. ومع هذا كله وجدت بعض الشبه التي أوردها المستشرقون وغيرهم ومتابعوهم من الكُتّاب المعاصرين بخصوص التكرار وغيره في القرآن متخذين من ذلك حججاً واهية. ولكي يخلص لنا الرأي محضاً مصفى. سنذكر بعض التوضيحات والشبه التي أثيرت حول التكرار القصصي في القرآن، كما قالها العلماء وردوا عليها. حتى يتبين لنا الرأي المروي والمختار.

١. الشبهة الأولى:

إن التكرار القصصي في القرآن قد يدخل الاضطراب على أسلوب القرآن ويجعله ثقيلاً على اللسان والسمع معاً. جاء في كتاب (إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية) أن هذا التكرار على تلك الصورة المرددة مدخلاً يدخل منه أصحاب الأهواء، ومرضى القلوب على كتاب الله ليخوضوا فيه وينخرطوا في نظمه وليطعنوا في بلاغته بهذا التكرار المتتابع وليقولوا أنه بهذا التكرار قد ادخل الاضطراب على الأسلوب وجعله ثقيلاً على اللسان والسمع معاً... [٢٧].

يقول عبد الكريم الخطيب: إن الذين يقولون مثل هذا القول إذ يحكونه عن غيرهم من الأعاجم لم يذوقوا البلاغة العربية ولم يتصلوا بأسرارها ولو أنهم رزقوا شيئاً من هذا لما كانت طاوعتهم ألسنتهم أن ينطقوا بهذا البهتان العظيم. ولردهم الحياء أن يقولوا قولاً لم يقع في حساب قريش وهي تتصيد إليهم المفتريات على كتاب الله. حتى بلغ بها الأمر أنها لو وجدت زوراً من القول لقالته فيه ورمته به [٢٨].

٢. الشبهة الثانية:

من الشبه التي أثيرت حول الموضوع هو أن الخبر إذا تعدد عن الحادثة الواحدة فلابد أن يقع بين خبرين متناقضين فيلزم أن يكون أحدهما صادقاً والآخر كاذباً.

يقول السيد عبد الحافظ عبد ربه ناقلاً الشبه والرد عليها بخصوص التكرار القصصي في القرآن: هو أن الخبر إذا تعدد في الحادثة الواحدة فلابد أن يقع بين خبرين متناقضين وهذا الاختلاف في التكرار يقتضي أن احدهما حق وغيرها باطل أو كذب. وهذا الاختلاف بالزيادة والنقصان، أو يراد شيء في موضع. ويراد غيره في موضع آخر من غير أن يتناقض المفهومان، يعد من صور التلون ومظاهر القدرة والتقنين [٢٩].

إن التعبير القرآني عندما يذكر قصة في مكان ويكررها في مكان آخر لا يأتي بها متناقضة مع الأخرى. وهذا يعد من التلوين والقدرة الربانية في التصرف المطلق بأساليب الكلام وهذا في منتهى الجمال والإيجاز جاء في كتاب (سايكولوجية القصة في القرآن)

أن ما تكرر من قصص القرآن ليس من التكرار الآلي الممل الذي يخل بالفن ويعيبه الفقهاء، لأن الحقيقة الواحدة يطالعنا بها القرآن في مواطن مختلفة ولكن في أثواب جديدة مع تصرف بارع في صيغ التعبير، وطرق الأداء، وإعادة الكلام في الموضوع مع التنويع والطرافة، ومن اخص طرق القرآن في تكرار القصة أن يعيد ذكرها في منتهى الإجمال والإيجاز، وذلك في مقام الاستدلال على ما يريد إثباته من حقائق بأمثلة من التاريخ [٣٠].

وهذا الاختلاف في بعض المواقف والأحداث للقصة الواحدة التي تعرض في عدد من سور القرآن الكريم هو إظهار للحقيقة بأكثر من وجهة وتنوع في الأسلوب وطريقة الأداء مع مناسبة المقام والأمثلة كثيرة جداً في كتاب الله ومن هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [٣١]، وقوله: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [٣٢]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [٣٣].

وهذا التكرار لقصة موسى عليه السلام في ثلاثة سور قد يستعمل القرآن الكريم المفرد في موطن ويستعمل المثنى في موطن آخر يبدو شبيهاً بالأول، وقد يستعمل جمعاً في موطن وقد يستعمل جمعاً آخر للمفردة نفسها في موطن آخر، وقد يستعمل المفردة في موطن هو من مواطن الجمع وما إلى ذلك من المواطن التي تستدعي التأمل والنظر. فقال في سورة الشعراء: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ بالأخبار بالمفردة عن المثنى، وقال

في سورة طه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ بالأخبار بالمثنى عن المثنى، وقال في سورة الزخرف: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بالأخبار المفرد عن المفرد. وبالرجوع إلى سياق الآيات يتضح سبب الاختلاف.

ففي سورة الشعراء ورد ذكر لهارون مع موسى- عليهما السلام-، غير أن القصة في السورة مبنية على الوحدة، لا على التثنية[٣٤] فقد قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴿١٨﴾﴾، وقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾[٣٥] وغيرها من الآيات التي وردت في سورة الشعراء والمبنية على الوحدة. مع الإشارة إلى هارون قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ بإفراد الرسالة وتثنية الضمير.

وأما عندما بني الكلام في سورة طه على التثنية قال: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ بتثنية الرسول. ولما لم تكن الآيات تشير إلى هارون مع موسى- عليهما السلام- في سورة الزخرف قاله بإفراد الضمير والرسول: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٣٦] هذا كله يرجع إلى الوحدة الموضوعية للسورة في تكرار القصة الواحدة هذا من جانب ومن جانب آخر. فقد ذكر الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ بتثنية لفظ (رسول) فوارد على اللغة الشهيرة، وأما قوله تعالى في الآية الثانية في سورة الشعراء ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ فعلى لغة من يقول: رسول للواحد، والاثنين، والجماعة، والمذكر، والمؤنث، فورد الأول في الترتيب الثابت على اللغة الشهيرة، والثاني على اللغة الأخرى. وعكس الوارد مخالف للترتيب، ولا يناسبه وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ بإضافة اسمه تعالى إلى ضمير الخطاب فانه يناسب من حيث ما فيه من التلطف والرفق لما تقدمه من قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴿٤٤﴾﴾[٣٧] وقد تفسر هنا القول... وناسب هذا ما بُنيت عليه سورة طه من تأنيس نبيينا- محمد وموسى- عليهما السلام بقوله: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾﴾[٣٨] وما بعده. فلما كان مبنى هذه السورة بجملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك بما أمر موسى عليه السلام من دعاء فرعون وانسه

ولطفه، وأمر موسى عليه السلام أخاه هارون بذلك. فقيل لهما: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴿٤٤﴾ ﴾ وجرى على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ فأشعرت هذه الإضافة بالتلطف الرباني [٣٩].

ولما لم تكن سورة الشعراء مبنية على ما ذكر من التلطف والتأنيس وغيرهما وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملأه وأعراقهم، وأخذ المكذبين للرسل بتكذيبهم... ورد فيها: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ بإضافة اسمه تعالى إلى العالمين. لتحصل انه مالك الكل، وأنهم تحت قهره تعالى، وفي قبضته، وعدل عن الإضافة إلى ضمير الخطاب، إذ لم يقصد هنا ما قدم من التلطف والتأنيس وإنما التعنيف وإقامة الحجة[٤٠].

بهذا البيان والتوضيح نقول: إن الذي يلقي مثل هذه الشبه على القرآن الكريم لم يتمعن في القرآن ولم يعن بدراسته ولم يأخذ من اللغة العربية وأسرارها بحظ وافر. لأن من قرأ القرآن قراءة باحث مستبصر غير ذي هوى ورزق التبحر في اللغة، والوقوف على أسرار البلاغة. فانه يصل لا محالة إلى علم اليقين في هذا. فان القرآن كعقد منظم تناسقت حباته وتآلفت لآلئه. والقرآن كله معانيه متآلفة، وأفكاره منسجمة وآياته متآخية آخذ بعضها بحجز بعض، ولا تنقطع آية عن سابقتها ولاحقتها، ولا ينفر معنى من آخر ولا يزداد على التكرار إلا حلاوة وطلاوة. ولو أن هذا الناقد تناول بعض السور المكية التي حوت القصة في القرآن وما فيها من ترابط وتماسك ببحث دقيق لظهر وجه الحق أما وقد أرسلها قولة مجردة فهي لا تخرج عن كونها دعوى عارية عن البرهان[٤١].

ثالثاً / أثر السياق في تكرار القصة القرآنية.

يعد السياق الحجر الأساس للوصول إلى المعنى. فاللفظ الواحد بالمنظور السياقي يتأرجح بين معنى وآخر ويكتسب أبعاداً جديدة أو ينتقل إلى مواقع لم يألفها من قبل. وقد يكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية أو قد يكون للسورة كلها جو خاص وسمة خاصة فتطبع ألفاظها بتلك السمة من السياق.

فالسياق هو الذي يحدد المعنى المخصص للكلمة من بين احتمالات عديدة يمكن أن تنصرف إلى الذهن وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات

والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي لمعنى الكلمة يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها، أو بعبارة أخرى تبعاً لتوزيعها اللغوي [٤٢].

فالكثير من اللغويين عد المنهج السياقي خطوة تمهيدية للمنهج التحليلي، لما للسياق من دور كبير في التحليل الدلالي ولأهميته في تعيين قيمة الكلمة، ففي كل مرة تستعمل فيه الكلمة تكتسب معنى محدداً مؤقتاً، ويفرض السياق قيمة واحدة على الكلمة [٤٣].

يتبين من هذا الكلام أن العلاقة بين اللفظ والمعنى في السياق علاقة تلازم باعتبارهما ركنين أساسيين من أركان الدلالة السياقية، إذ لا يمكن الاستغناء عن احدهما أو التقليل من أهمية واحد منهما دون الأخر فاللفظ يكون دالاً والمعنى المشار إليه من خلال النص أو السياق يكون مدلولا ومن هنا يتضح في مباحث اللغويين القدامى انه كانوا يولون قضايا اللفظ أولوية في مجالات الدراسات اللغوية، واللغويون المحدثون كذلك لهم جهودهم الحثيثة في هذا المجال من الدراسة [٤٤].

ولم تكن قضايا اللفظ والمعنى مقصورة على جهود اللغويين فحسب بل تناولها المفسرون ممن عنوا بتفسير كلام الله عزَ وجل وبيان وجوهه وإعجازه وحمل اللفظ على معان كثيرة[٤٥] من خلال النص أو السياق ، فاللفظ الواحد في منظور النص القرآني أو الدلالة السياقية يتأرجح كما قلنا بين معنى وآخر. فاختيار الألفاظ والعبارات في القصة وغيرها في القرآن يكون مقصورا على السمة التعبيرية للسياق في تلك الصورة في أدق معانيها وأكمل صورها. يقول (سيّد قطب) في تكرار القصة في القرآن وطريقة الأداء في السياق إن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد انه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق وانه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار [٤٦] وتضيف جديداً يساهم في كمال الموضوع.

وقد يراعى في اختيار التعبير القرآني أمور عديدة وجوانب كثيرة، فقد يراعى السياق الذي ورد فيه التعبير والنص، والسورة الأخرى التي فيها مواطن تعبيرية متشابهة أو مختلفة مثل القصة المتكررة في القرآن[٤٧]. ولتوضيح ذلك في أثر السياق في القصة القرآنية

وتكرارها قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٤٨] ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[٤٩] جاء في كتاب (معاني النحو) انه قدم ﴿ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ على (رجل) في سورة "يس" وأخرها في سورة (القصص)، وذلك لان المعنى مختلف فمعنى قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ أن هذا الرجل جاء ساعياً من أقصى المدينة فالمجيء كان من أقصى المدينة.

أما في سورة القصص فالمعنى أن الرجل كان مسكنه في أقصى المدينة كما تقول: (تكلم رجل من أعلى القوم أو من أدناهم)، فليس المقصود أنه كان جالسا في الأعلى وتكلم من هناك، وإنما المعنى أنه من علية القوم فهو صفة [٥٠].

جاء في (درة التنزيل): أما الآية الأولى من سورة القصص فان المراد جاء من لا يعرفه موسى عليه السلام من مكان لم يكن مجاوراً لمكانه. فاعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به [٥١]. ويحتمل أيضاً المعنى الأول فهو تعبير احتمالي، ونحو هذا أن تقول (قدم من القرية رجل) و(قدم رجل من القرية) فمعنى الأولى أن قدومه كان من القرية، وأما الثانية فتحتمل هذا المعنى وتحتمل أن الرجل قروي أي هو من أهل القرية وربما لم يكن قدومه هذا من القرية[٥٢].

ومن الأمثلة كذلك في تكرار القصة في القرآن بزيادة لفظ أو أكثر في موطن ما لا يذكره في موطن آخر يبدو شبيهاً به مراعاة لما يقتضيه السياق أو يستدعيه المقام. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴿٢٠﴾ ﴾[٥٣] وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴿٦﴾ ﴾[٥٤].

يقول الدكتور فاضل السامرائي: فزاد في آية المائدة (يا قوم) ولم يذكر ذلك في آية إبراهيم وذلك أنه في آية المائدة عدد عليهم النعم الجسام في أن جعل منهم أنبياء وجعل منهم ملوكاً وأنه آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين فحسن نداؤهم بـ(يا قوم) وذلك أن الإنسان يجب أن ينتسب إلى قوم ذوي رفعة ومكانة عالية بخلاف المستذلين والمستعبدين وهو سياق الآية الثانية.

هذا من جهة ومن جهة أخرى أنه طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم فقال: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ ... ﴿٢١﴾ ﴾[٥٥] فناداهم بـ(يا قوم) عطفاً لقلوبهم لتحميلهم مهمة دخول الأرض المقدسة وتكليفهم بهذا الأمر الشاق. أما آية إبراهيم فليس فيها طلب شيء ولا تكليف بأمر، وإنما فيها تذكير بما مرّ عليهم من محن وعذاب...

ومن جهة أخرى أن سياق قصة موسى عليه السلام في سورة المائدة أطول مما في سورة إبراهيم فزاد (يا قوم) لمناسبة طول القصة في سورة المائدة وهذا خط واضح في التعبير القرآني فاقتضى كل ذلك هذه الزيادة في سورة المائدة دون سورة إبراهيم [٥٦].

جاء في (البرهان في متشابه القرآن): أن تصريح اسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به، ولما كان ما في هذه السورة– سورة المائدة– نعما جساما. وما عليها من مزية... صرح فقال (يا قوم) لموافقة ما قبله بعده من النداء وهو قوله (يا قوم ادخلوا...)... ولم يكن في إبراهيم بهذه المنزلة. فاختصر على حرف الخطاب [٥٧].

وبهذا يكون للسياق الأثر الكبير في إيجاز القصة وإحكامها في القرآن الفهم الدقيق لإيحاءات القرآن وإشاراته إذ يستدعي يقظة متواصلة في قراءته وفكرا واعيا لتدبر مراميه وحساً مرهفاً لتذوق معانيه.

رابعاً / التناسب الدلالي بين الآيات

إن علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي الذي قال في تفسير: أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيبات والروابط والتناسق [٥٨].

فالمناسبة في اللغة: المشاكلة يعني ناسبه مناسبة أي شاكله مشاكلة[٥٩]ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني من خلال السياق. كالسبب والمسبب والعلة والمعلول ونحوه[٦٠].

وأما المناسبة في الاصطلاح: فهي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[٦١].

فالمناسبة علم من العلوم التي اهتم بها أكثر العلماء وتركها آخرون. وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ (أبو بكر النيسابوري) وكان كثير العلم في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها يقول إذا قرئت عليه الآية من القرآن الكريم لِمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة من جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بعلم المناسبة[٦٢].

والذين تركوا هذا العلم- علم المناسبة- وأنكروه هم قليل. يقولون: مستبعداً أن يرتبط القرآن بعضه ببعض- وكانوا يرون أن مقطعاً يخالف الآخر ويغايره ويستقل عنه. ومن هؤلاء العز بن عبد السلام[٦٣]-. ومن الحجج لمنكري المناسبة يقولون إن المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع ارتباط. من ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه [٦٤].

- **أنواع المناسبات بين الآيات.**

أولاً: أن تكون المناسبات ظاهرة الارتباط. لتعليق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه في الأولى. يكون واضحاً وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض- أو البدل أو تخصيص العام أو تعميم الخاص وغيرها[٦٥] من الأسباب المختلفة التي تدعو إلى التناسب الدلالي بين الآيات في السورة وخارجها والقصة وتكرارها وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني. وهذا يرجع إلى مراعاة المقام وحسن الاختيار وذكر اللفظة في الوضع الذي يقتضيه السياق حتى تكون المناسبة في الحادثة وغيرها بأبلغ تعبير وأجمل صورة.

فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾[٦٦] على لسان جميع الأنبياء الذين جرى ذكرهم في سورة الشعراء فنبي الله نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وكذلك قال نبي الله

هود عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وكذا قال نبي الله صالح عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وكذا قال لوط عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وكذا قال نبي الله شعيب عليه السلام لقومه: ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٦٧]، إلا إبراهيم وموسى- عليهما السلام- فإنهما لم يقولا ذلك.

أما إبراهيم عليه السلام فلأن أباه كان في المخاطبين قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ ﴾[٦٨] فاستحيا أن يخاطب أباه بذلك. لأنه لا يليق أن يقول شخص لأبيه (لا أسألُكَ أجراً) من طلب الأجرة، وأما موسى-عليه السلام- فلأن فرعون قد رباه وانفق عليه فلا يليق ذلك له فقال: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ ﴾[٦٩] فلا يليق أن يقول له: (وما أسألُكَ عليهِ مِن أجرٍ)[٧٠].

جاء في كتاب (البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) أنه ليس في قصة موسى عليه السلام ولا في تكرارها ذلك الطلب من الآمر- وذلك لأنه رباه فرعون حيث قال: (ألَم نُرَبِّكَ فينا وَليداً؟) ولا في قصة إبراهيم عليه السلام لأن أباه في المخاطبين حيث قال: (إذ قالَ لأبيهِ وَقَومِهِ...)... فاستحيا موسى وإبراهيم أن يقولا: ﴿ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ وان كانا منزهين من طلب الأجرة [٧١].

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ ﴾[٧٢] وقوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[٧٣] وذلك لأنه سبق هذا القول في سورة الأعراف قوله: ﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٥٩ ﴾[٧٤] أي ليسوا جميعاً على هذه الشاكلة من السوء فناسب هذا التبعيض التبعيض في الآية السابقة. جاء في (تفسير الفخر الرازي) في صدر التعبير المناسب للسياق الذي ورد فيه كما هو ظاهر في سورة البقرة ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ وفي الأعراف ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾.

فما الفائدة في زيادة كلمة (منهم) في الأعراف؟ الجواب: سبب زيادة هذه اللفظة في سورة الأعراف أن أول القصة ههنا مبني على التخصيص بلفظ (من) لأنه تعالى قال ﴿ وَمِن قَوۡمِ

﴿ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴾ فذكر أن منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف أنعامه عليهم وأوامره لهم. فلما انتهت القصة قال الله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ فذكر لفظة (منهم) في آخر القصة كما ذكرنا في أول القصة ليكون آخر الكلام مطابقاً لأوله فيكون الظالمون من قوم موسى بإزاء الهادين منهم فهناك ذكر امة عادلة، وههنا امة جائرة... وأما في سورة البقرة فإنه لم يذكر في الآيات التي قبل قوله ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ تمييزاً أو تخصيصاً حتى يلزم في آخر القصة ذكر ذلك التخصص فظهر الفرق [٧٥].

وجاء في (التعبير القرآني) التفاتة أخرى في المناسبة بين الآيتين في تكرار القصة– ومن ناحية أخرى أن في ذكر (منهم) تصريحاً بان الظالمين كانوا من بني إسرائيل ، ولم يذكر في البقرة (منهم) فلم يصرح بأنهم منهم تكريماً لهم. فكان كل تعبير مناسباً للسياق الذي ورد فيه كما هو ظاهر [٧٦].

وبذلك يكون لتكرار القصة في القرآن جو خاص وسمة مناسبته خاصة فيطبع ألفاظه بتلك السمة التعبيرية في السورة حتى تكون كل لفظة اختيرت بحسب المناسبة التعبيرية لهذا السياق أو ذاك.

ثانياً: أن تكون المناسبة ظاهرة الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى. وأنها خلاف النوع الأول المبدوء به[٧٧] وأنها تكون متنوعة:

فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة في الحكم أو لا. فان كانت معطوفة فلابد أن تكون بينهما جهة جامعة. من جانب المعنى واللفظ. وان لم تكن معطوفة فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام. وهي قرائن معنوية تؤذن بالربط[٧٨].

وقد يرد العطف لمناسبة جامعة بين المتعاطفين هي أنهما من جنس واحد. كما في قوله تعالى ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ ﴾[٧٩] عطف عليه قوله ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا ﴾ هنا أقسم الله تعالى بالقرآن العظيم من حيث أنه قران عربي وهذا من بدائع الألفاظ. لتناسب القسم والمقسم عليه، ولعل إقسام الله عز وجل بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه من عطف الكتاب على القرآن[٨٠].

ومن الأمثلة التي وردت في تكرار القصة في مشاكلة الحكم من جانب اللفظ والمعنى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ ﴾[٨١]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[٨٢] وهذان المثلان في ذكر العلاقات والمناسبات فهو اعتبار لفظي مع كونه معنوي مشتق من مكونات الألفاظ في التراكيب والقصة القرآنية وتراكيبها. والملاحظ من السورتين أن آيات الأعراف تذكر لفظ موسى فيما جاء به من المعجزات بخلاف سورة الشعراء وذلك لأن الفرق كبير بين المقامين في الذكر والحذف. وهذا يدل على لهفة فرعون وأعوانه على غلبة موسى عليه السلام من ناحية، ومن ناحية أخرى أن مقام التحدي وقوة المواجهة وتهييج الناس على موسى عليه السلام في الشعراء اقتضى حذف لفظ (موسى) بخلاف سورة الأعراف، ومن جانب آخر فقد جاء في سورة الأعراف بصيغة اسم الفاعل (ساحر) وجاء في الشعراء بصيغة المبالغة (سحّار) وذلك أن هذه الصيغة في الشعراء تتناسب مع المبالغة في قوة التحدي وشدة المواجهة بين فرعون وموسى، وتتناسب مع غضب فرعون البليغ واندفاعه للنيل من موسى، فهم أرادوا سحّاراً بليغاً في السحر لا مجرد ساحر. وهذا يتناسب أيضاً مع مقام التأكيد على السحر، فإن السحر أُكِّدَ، وكُرِّر في الشعراء أكثر منها في الأعراف، فقد ذكر في الأعراف سبع مرات وفي الشعراء عشر مرات. فانظر كيف اقتضى كل مقام، اللفظة التي وردت فيه [٨٣].

وبهذا التعبير البلاغي والتنسيق البياني والتناسب الدلالي بين الآيات يجعل الإنسان عند سرد القصة كأنه يشاهد بالعين أحداثها وهي تتحرك أمامه وجذب النفس إلى سماعها لما جُبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة واستلذاذها وإظهار خاصية القرآن حيث لم يحصل مع ذلك التكرار فيه هُجنة في اللفظ، ولا ملل عند سماعه. فيباين بذلك كلام المخلوقين.

خامساً / السمة التعبيرية لمشاهد قصة موسى عليه السلام وتكرارها

ما يلبث القرآن الكريم أن يقف بنا عند عدد من الوقائع التاريخية لكي يحدثنا عن مصائر أفراد وجماعات لم تحسن التعامل مع أنبيائها. والقرآن يجرد هذه الوقائع من احد وبعديها التاريخيين، على الأزمنة والأمكنة كافة لكي تظل تعمل مهمتها التوجيهية التي تتجاوز نطاق العرض التاريخي إلى الآفاق الممتدة للخاص والعام، ومن ثم فإنها تلتقي بالأمثال التي يضربها القرآن في الهدف الذي تتوخاه [٨٤].

وان لمشاهد القصة في القرآن سمة تعبيرية خاصة فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة وذلك المشهد. وقد تكون للقصة الواحدة في سورة من سور القرآن جو خاص وسمة تعبيرية خاصة فتطبع ألفاظها بتلك السمة وان تكررت القصة الواحدة وهذا واضح وكثير في القرآن الكريم إذ كثيراً ما نرى تعبيرين يتشابهان إلا في لفظ واحد أو لفظين أو ثلاث... وإذا ما دققنا النظر وجدنا أن كل لفظة اختيرت بحسب السمة التعبيرية لهذا السياق أو ذاك[٨٥] فمن ذلك مثلاً قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ ٱلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[٨٦] وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ

﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ (٨٧).

إن موضوع القصة في سورة الأعراف هو تاريخ بني إسرائيل بدءاً من قصة موسى عليه السلام مع فرعون إلى ما بعد ذلك من أحداث. وأما موضوعها في الشعراء فهو ذكر قصة موسى مع فرعون بالتفصيل إلى غرق فرعون وقومه ومعنى ذلك أن ما في الشعراء إنما هو جانب مما هو في الأعراف ونحن يعنينا هنا ذكر الجانبين المتشابهين اللذين يتضح فيهما الحشد الفني والسمة التعبيرية المختلفة في القصة المتكررة.

فميزة السياق التعبيري في سورة الأعراف هو افتقار حادثة الإغراق ولا يفصل ما حل بفرعون وقومه وجيشه من الإغراق كما فُصِّلت الحادثة في موضع آخر في سورة الشعراء لأن الجو في هذا الأخذ الحاسم بعد الإمهال الطويل والإنذار الشديد.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: إن القصة في سورة الشعراء تتسم بسمتين بارزتين هما:

١. التفصيل في سرد الأحداث.
٢. قوة المواجهة والتحدي.

وقد بُنِيت القصة على هذين الركنين وجاءت كل ألفاظها وعباراتها لتحقيق هذين الأمرين.

أما القصة في سورة الأعراف فقد بُنِيت على الاختصار من ناحية كما أنها ليس فيها قوة المواجهة التي في الشعراء. وبملاحظة النصوص الواردة... والفروق التعبيرية بين القصة في السورتين يتَبين كيف بُنِيت كل قصة بحسب السياق والمقام الذي وردت فيه (٨٨).

في سورة الأعراف **في سورة الشعراء**

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾	قال تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾
قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾	قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾
قال تعالى: ﴿ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾	قال تعالى: ﴿ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾
قال تعالى: ﴿ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾	قال تعالى: ﴿ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾
قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾	قال تعالى: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾
قال تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾	قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾
قال تعالى: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾	قال تعالى: ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾
قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	قال تعالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾	قال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾

ولإيضاح تلك الفروق التعبيرية بين القصة الواحدة في السورتين في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[٨٩] وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٩٠] فالفرق واضح بين السياقين فناسب كل تعبير المقام الذي ورد فيه فالقائلون في آية الأعراف هم ملأ فرعون. في حين أن الذي قال في آية الشعراء هو فرعون نفسه. وذلك أن المحاجّة كانت معه، ففي الآية الأولى كان فرعون في مقام غطرسة الملك والترفع عن الكلام. وأما في آية الشعراء فإن انقطاعه أمام موسى أنساه غطرسة الملك وكبرياءه ودفعه إلى أن يقول هو وأن يستعين بملأه. وزاد كلمة (بسحره) لمناسبة مقام التفصيل في الشعراء والتأكيد على السحر فيها [٩١].

وكذلك من تلك الفروق في السورتين في قصة موسى عليه السلام وتكرارها قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ ﴾[٩٢] وقولـــه: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي

﴿ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [٩٣] قال الدكتور فاضل السامرائي: فقال في سورة الأعراف (وأرسل) وقال في الشعراء (وابعث) وذلك لكثرة تردد فعل الإرسال في الأعراف... فقد تردد فعل الإرسال ومشتقاته ثلاثين مرة في الأعراف وتردد في الشعراء سبع عشرة مرة. فناسب ذلك الإرسال في الأعراف دون الشعراء. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن المقام في الشعراء يقتضي ذكر الفعل [ابعث] دون [أرسل] ذلك أن (ابعث) فيه معنى الإرسال وزيادة، فان فيه معنى الإثارة والإنهاض والتهييج [٩٤].

جاء في (لسان العرب) أن البعث في كلام العرب على وجهين: احدهما الإرسال كقوله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ معناه أرسلنا. والبعث إثارة بارك أو قاعد تقول:... بعث البعير فانبعث حلّ عقاله فأرسله أو كان باركاً فهاجه... وفي حديث حذيفة إن للفتنة بَعَثات قوله (بعثات) أي أثارات وتهييجات [٩٥] وفي (مفردات الراغب الأصفهاني) أن أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه يقال: بعثته فانبعث [٩٦].

والبعث قد يكون فيه معنى الإرسال وقد يكون فيه معنى الإنهاض كما ورد في المعاجم اللغوية فلما كان المقام في سورة الشعراء مقام زيادة تحد وقوة مواجهة وشدة قال ملأ فرعون: قال تعالى﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ فلم يكتفوا بالإرسال بل أرادوا أن يُنهضوا من المجتمع حاشرين علاوة على الرسل. وهؤلاء من مهمتهم الإثارة وتهييج الناس على موسى عليه السلام وهذا المعنى لا يؤديه لفظ (أرسل) في الأعراف. فاقتضى كل مقام في القصة اللفظة التي وردت فيه[٩٧]. وهكذا بقية الآيات في السورتين.

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [٩٨]، وقوله في سورة الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [٩٩].

إن قصة موسى عليه السلام في البقرة والأعراف تشتركان في قسم من المواطن وتختلفان في كثير. ففي الأعراف يذكر أموراً لا يذكرها في البقرة وكذلك العكس. وان سر الاختلاف يتضح من الاطلاع على سياق الآيات في السورتين فسياق الآيات في سورة البقرة هو تعداد النعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل. وأما في سورة الأعراف. فالمقام مقام تقريع وتأنيب فإن بني إسرائيل قوم لا يتعظون فإنهم بعد ما أنجاهم من البحر واغرق آل فرعون طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها. وعندما ذهب موسى لميقات ربه عبدوا العجل وإنهم كانوا ينتهكون محارم الله. فالفرق واضح بين السياقين فناسب بين كل تعبير المقام الذي ورد فيه(١٠٠). وتوضيح ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ وَقُلْنَا .. فَٱنفَجَرَتْ ﴾ وقوله: ﴿ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب ٱضْرِب .. فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ وهنا قد يحذف احد المتعاطفين للدلالة عليه كما في الآيتين. جاء في (المغني) في حذف المتعاطفين أي (فضرب فانفجرت) فحذف المعطوف عليه لدلالة ما بعده عليه فإنه لو لم يضرب لم تنفجر بالماء (١٠١).

جاء في كتاب (بلاغة الكلمة) أن التعبير القرآني عندما عبر في البقرة (فانفجرت) وقال في الأعراف (فانبجست) أنه عبّر بالانفجار في سورة البقرة والانبجاس في سورة الأعراف لجملة أسباب منها:-

١. أن موسى هو الذي استسقى في البقرة ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ فناسب إجابته بانفجار الماء، في حين ذُكر في سورة الأعراف أن قومه هم الذين استسقوا موسى في قوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ والحالة الأولى أكمل فناسب إجابته بانفجار الماء دون الثانية الانبجاس.
٢. قال في سورة البقرة ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِب ﴾ أي أن الله قال ذلك لموسى قولاً في حين ذكر في الأعراف أن الله أوحى إلى موسى بذلك وحياً في قوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ ﴾ والحالة الأولى أكمل وأتم. فان القول الصريح من الله عز وجل أكمل واقوى من الوحي المنزل. فناسب ذلك ذكر الانفجار في البقرة والانبجاس في الأعراف.
٣. فقد نقول إذا كان الانفجار أكثر وأغزر من الانبجاس. فلِمَ قال مرة (انفجرت) وقال مرة أخرى (انبجست). الجواب أن كِلا الأمرين حصل فقد انفجرت أولاً بالماء الكثير كما

قيل ثم قلَّ الماء بمعاصيهم فاخذ ينبجس فذكر حالة الانفجار في سورة البقرة وحالة الانبجاس في سورة الأعراف وذكر حالة كل منهما تبعاً لما يقتضيه السياق ولو غاير بينهما فاستعمل الانفجار مكان الانبجاس لكان خلاف الأولى وخلاف ما يقتضيه السياق والمقام في القصة .[١٠٢]

إن القصص القرآني لشدة إيجازها وإحكامها وان تكررت تكاد كلماته تتحول رمزاً تنطوي كل كلمة منها على معانٍ كثيرة. لذلك فان الفهم الدقيق لإيحاءات القرآن وإشاراته تستدعي يقظة متواصلة في قراءته وفكراً واعياً لتدبر مراميه وحساً مرهفاً لتذوق معانيه.

الخاتمة

مهما يكن من قصور الباحث وثغرات البحث، فقد أبرزت هذه الدراسة بعض الجوانب العظيمة في القصة القرآنية وتكرارها، وكان من أهم ما توصلت إليه من نتائج ما يأتي:

- إن التكرار ظاهرة استعملها التعبير القرآني لإظهار جمالية ألفاظه، وتناسق عباراته، بإعادة أجزاء من القصة الواحدة مثلاً في أكثر من موقع في القرآن الكريم. فأفاد ذلك ظهور الإعجاز القرآني في تكرار القصة.
- التكرار في القرآن الكريم هو أسلوب القرآن المركب تركيباً فنياً دقيقاً بالغ الدقة. كل لفظة في القرآن بل كل حرف فيه وضع موضعاً مقصوداً.
- للسياق الأثر الكبير في إيجاز القصة وإحكامها في القرآن فاللفظ الواحد بالمنظور السياقي يتأرجح بين معنى وآخر. فاختيار الألفاظ والعبارات في القصة المتكررة وغيرها في القرآن يكون مقصوراً على السمة التعبيرية للسياق في تلك الصورة بأدق معانيها وأكمل صورها.

هوامش البحث

(١) التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي: ٢٥١.

(٢) ينظر: أهداف القصة في القرآن، منصور الرفاعي:٤٤– ٨٦.

(٣) التعبير القرآني: ٢٥١.

(٤) ينظر: مباحث في علم اللغة واللسانيات، د.رشيد عبد الرحمن العبيدي:٢٠–١٣٥.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، للإمام محمد بن محمد عمر الزمخشري: ١٣٦/٢.

(٦) ينظر: تفسير الفخر الرازي، للإمام محمد فخر الدين بن ضياء الدين الرازي: ٧١/١، وينظر تفسير النسفي، للإمام أبي البركات عبد الله ابن احمد النسفي: ٤٧/١، وينظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي الشوكاني: ٥٥/١.

(٧) ينظر: الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري: ٢ /١٢٣.

(٨) ينظر: قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار: ٢٠٢.

(٩) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: مادة (كرَّ)، والصحاح في اللغة والعلوم ، للعلامة الجوهري: مادة (كرَّ).

(١٠) ينظر: التعريفات، لعلي بن الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأنباري:٩٠/١.

(١١) بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه: ١٨٠.

(١٢) إرشاد الرحمن، لعلي بن عطية: ١٢٠/١.

(١٣) أسرار التكرار في القرآن، لتاج القراء محمود بن حمزة الكرماني:٢٤٦.

(١٤) الأنعام:١١٧.

(١٥) القلم: ٧.

(١٦) أسرار التكرار في القرآن: ٢٤٩–٢٥٠.

(١٧) في ظلال القرآن، سيد قطب: ٥٥/١.

(١٨) المدخل لدراسة القرآن، د.محمد بن محمد أبو شهبة: ١١، وينظر القصة القرآنية مصطلحاً، عبد الستار الأسدي: ٤٦.

(١٩) ينظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) عبد الوهاب عبد اللطيف الدليمي: ٤١٤.

(٢٠) ينظر: تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا: ٨ /٣٤٣ – ٣٤٦، وينظر الصاحبي في اللغة ، لأبي الحسين بن فارس: ٢٠٧ – ٢٠٩.

(٢١) التعبير القرآني: ٢٥١.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي: ١٣٤/١٧.

(٢٣) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، لعبد الرحمن بن محمد السيوطي:٢٥٨/١.

(٢٤) ينظر سيكولوجية القصة في القرآن:١٣٢.

(٢٥) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: ٣ /٢٧، وينظر البلاغة والتطبيق، د.احمد مطلوب: ٣٠٧.

(٢٦) ينظر البرهان في علوم القرآن: ٢٧/٣.

(٢٧) إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية، عبد الكريم الخطيب: ٧٥.

(٢٨) المصدر نفسه: ٧٦.

(٢٩) بحوث في قصص القرآن: ١٨٣.

(٣٠) سيكولوجية القصة في القرآن: ١٢٨.

(٣١) الشعراء: ١٦.

(٣٢) طه: ٤٧.

(٣٣) الزخرف: ٤٦.

(٣٤) ينظر: بلاغة الكلمة، د.فاضل صالح السامرائي:٧٨.

(٣٥) الشعراء: ١٨، ٢٣،٢٧.

(٣٦) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:٨٠.

(٣٧) طه: ٤٤.

(٣٨) طه: ١٣.

(٣٩) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٧٠/٣.

(٤٠) ينظر: المصدر نفسه: ٧١/٣.

(٤١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٢٣٤.

(٤٢) علم الدلالة، د.احمد مختار عمر:٦٩.

(٤٣) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين:٩٤.

(٤٤) تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، وليد محمد مراد:١٧٤.

(٤٥) ينظر: التطور اللغوي التاريخي، د.إبراهيم السامرائي: ٣٥.

(٤٦) في ظلال القرآن:٥٥/١.

(٤٧) ينظر: التعبير القرآني: ٢٢٤.

(٤٨) يس:٢٠.

(٤٩)القصص: ٢٠.

(٥٠) معاني النحو، د.فاضل السامرائي: ٣ /١٠٤.

(٥١) درة التنزيل وغرة التأويل: ٣٩٠.

(٥٢) ينظر معاني النحو: ٣ /١٠٤.

(٥٣) المائدة: ٢٠.

(٥٤) إبراهيم: ٦.
(٥٥) المائدة: ٢١.
(٥٦) التعبير القرآني: ١٠٨.
(٥٧) البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمد بن حمزة الكرماني: ٣٥٣.
(٥٨) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن:٤٣/١.
(٥٩) القاموس المحيط: مادة (نسب).
(٦٠) ينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٤٤/١.
(٦١) المصدر نفسه: ٤٥/١.
(٦٢) المصدر نفسه: ٤٣/١.
(٦٣) البرهان في إعجاز القرآن: ٣٧/١.
(٦٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٤٤/١.
(٦٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٥/١.
(٦٦) الشعراء: ١٠٩.
(٦٧) الشعراء: ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.
(٦٨) الشعراء: ٦٩-٧٠.
(٦٩) الشعراء: ١٨.
(٧٠) التعبير القرآني: ١٠٧.
(٧١) البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: ٣٥٤.
(٧٢) البقرة: ٥٩.
(٧٣) الأعراف: ١٦٢.
(٧٤) الأعراف: ١٥٩.
(٧٥) تفسير الفخر الرازي: ٩٣/٣ – ٩٤.
(٧٦) التعبير القرآني: ٢٨٤.
(٧٧) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٤٥.
(٧٨) ينظر البرهان في إعجاز القرآن: ١/ ٧٦.
(٧٩) الزخرف: ٢ – ٣.
(٨٠) ينظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: ٤٧٧/٣ ، وتفسير النسفي: ١١٣/٤، وينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام محب الدين الآلوسي: ٢٥ /٦٣.
(٨١) الأعراف: ١٠٧ – ١١٢.

(٨٢) الشعراء: ٣٢ – ٣٤. ٣٧.
(٨٣) التعبير القرآني: ٢٩٣.
(٨٤) دنيا النبات في كتاب الله (بحث)، د.عماد الدين خليل: ٢٧.
(٨٥) ينظر التعبير القرآني: ٢١٢.
(٨٦) الأعراف: ١٠٩ – ١٢٥.
(٨٧) الشعراء: ٣٤ –٥٠.
(٨٨) التعبير القرآني: ٢٩٠ – ٢٩١.
(٨٩) الأعراف: ١٠٩.
(٩٠) الشعراء: ٣٤.
(٩١) التعبير القرآني: ٢٩٥.
(٩٢) الأعراف: ١١١.
(٩٣) الشعراء: ٣٦.
(٩٤) التعبير القرآني: ٢٩٢.
(٩٥) لسان العرب، لابن منظور الأفريقي: مادة (بعث).
(٩٦) مفردات غريب القران، للراغب الأصفهاني: ٥٣.
(٩٧) ينظر التعبير القرآني: ٢٩٣.
(٩٨) البقرة: ٦٠.
(٩٩) الأعراف: ١٦٠.
(١٠٠) ينظر التعبير القرآني:٢٧٧.
(١٠١) مغني اللبيب في كتب الأعاريب، لأبي هشام الأنصاري: ٦٢٨/٢.
(١٠٢) بلاغة الكلمة: ١٠٠ – ١٠١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إرشاد الرحمن،علي بن عطية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أسرار التكرار في القرآن الكريم لمحمد بن حمزة بن الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر احمد عطار، دار أبو سلامة للطباعة، تونس، ١٩٨٣.
- إعجاز القران في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية، عبد الكريم الخطيب (د.ت).
- أهداف القصة في القرآن الكريم، منصور الرفاعي، دار الكتب، الكويت.

- بحوث في قصص القرآن، لعبد الحافظ عبد ربه (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت٧٩٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان ، ط١، ١٩٨٨.
- البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة البيان، محمد بن حمزة الكرماني، (رسالة ماجستير)، مقدمة إلى كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب ناصر بن سلمان العمر.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د.فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
- البلاغة والتطبيق د.احمد مطلوب، د.كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- تطور الجهود اللغوية في علم اللغة العام، وليد محمد مراد، منشورات دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- التطور اللغوي التاريخي، د.فاضل السامرائي، معهد البحوث للدراسات العربية، ١٩٦٦م.
- التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، مطبعة بيت الحكمة،١٩٨٦م.
- التعريفات، الشريف الجرجاني علي بن محمد الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان/ بيروت،١٩٦٩.
- تفسير الفخر الرازي، المعروف (بمفتاح الغيب)، لأبي عبد الله محمد بن الحسين التميمي الرازي، (ت٦٠٦ هـ) منشورات المطبعة البهية، مصر، (د-ت).
- تفسير القرآن الكريم،لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مطبعة السعادة، مصر.
- تفسير النسفي، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، (ت٧١٠هـ)، منشورات مكتبة محمد علي صبيح، مصر، القاهرة، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٦م.

- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن احمد القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- درة التنزيل وغرة التأويل، للإمام الخطيب الاسكافي، (ت٤١٢هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م.
- دنيا النبات في كتاب الله، د.عماد الدين خليل، (بحث) مجلة العربي، العدد٢٤٢، صفر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، للإمام محب الدين الالوسي، (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، (د–ت).
- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، نقرة التهامي، طباعة الشركة، تونس، ١٩٧٤.
- الصاحبي في فقه اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران، للطباعة، ١٤٨٣هـ/ ١٩٦٤م.
- الصحاح في اللغة والعلوم، للعلامة الجواهري، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، مطبعة دار الحضارة العربية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- علم الدلالة، د.احمد مختار عمر، مطبعة الدار العربية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير , محمد بن علي الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر، بيروت/ لبنان، (د.ت).
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة ٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت٨١٧ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة.
- القصة القرآنية مصطلحاً، د.عبد الستار جبر الأسدي، (بحث) مجلة المشكاة، في الأدب الإسلامي، المجلد الثامن، العدد ٣٢ ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

- الكامل في التأريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لمحمد بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، طهران (د.ت).
- لسان العرب، للعلامة ابن منظور الأفريقي، (ت٧١١هـ)، دار ليبيا/ بيروت،١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- مباحث في علم اللغة واللسانيات، للأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، وزارة الثقافة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، د.محمد بن محمد أبو شهبة، المكتبة السنية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- المستفاد من قصص القرآن، د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، لعبد الوهاب عبد اللطيف الدليمي (أطروحة دكتوراه)، دار المجمع للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد مطبعة بيت الحكمة،١٩٩١م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل بن عبد الرحمن بن الكمال ابي بكر محمد السيوطي، (ت٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى،١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: د.محمد محي الدين عبد الحميد.
- مفردات غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت٥٠٤ هـ)، على كتاب نهاية غريب القرآن، المطبعة الخيرية، مصر،١٣٠٦هـ.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د.علي زوين، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.